

الرسام صدر الدين أمين لـ (الزمان): ليس هنالك نقاد متخصصون بالفن التشكيلي - خالد خضير

صدر الدين أمين، فنان أعلن التوحد بالطبيعة استراتيجيا لتجربته، فاستلهم العالم المحيط بذاكرته، فقد فارق ذلك العالم، الذي هو كردستان العراق ليقيم في بنسلفانيا، حيث استبدل البنائيات الشاهقة والجدران الكونكريتية بالطبيعة، بما تحتويه، فبدأ يشعر أن هناك حاجة في نفسه ليعود إلي مخزونات ذاكرته البكر ليؤسس منها ما أسميته مرة (بويطيقيا الذاكرة).

انقل هنا محاوره طويلة معه يتحدث فيها عن مختلف جوانب تجربته، فبادرته أولا بالسؤال:

١- لقد صنفنا فناني محيطي أي واقعي من نمط خاص بل بصفة أدق تعبيريا تجريديا، فماذا تري؟ وهل تقر ان مهمة الفن تجميع موجودات المحيط ثم إجراء والأسلية والاختزال والتحوير الشكلي عليها؟

- إنني أميل الي الرسم التشخيصي لان في ذلك بعدا إنسانيا وروحيا ونفسيا، وأريد ان تكون لوحتي مليئة بالحياة، ولا أريدها ان تكون لوحة جامدة، صامتة، وغير مفهومة للأخر، أريدها ان تكون مؤثرة ولا تصدم المشاهد بقدر ما تسعده. الرسم بالنسبة لي هو إسعاد الآخرين لذلك اخترت مفرداتي بدقة، وحتى عندما أكررها، فأنا أكررها بشكل مختلف في كل عمل جديد. لا أريد ان أصنف داخل إطار معين، كتعبيري، أو تجريدي أو بدائي الخ، لاني اعتبر ذلك بمثابة قيد يكبل حركة الفنان. أنني فنان مجرب وفي كل فترة ومرحلة لي تجارب خاصة ومختلفة. أتذكر جيدا في منتصف الثمانينات صنفني أستاذي في مادة اللون الفنان الراحل محمد صبري، أيام كنت طالبا في أكاديمية الفنون الجميلة في بغداد فقد صنفني بأثني رسام وحشي، أي انتمى الي المدرسة الوحشية، وكان محقا في ذلك إذ أنني كنت حينها تحت وقع تأثير أسلوب هنري ماتيس. اليوم أريد ان اجمع كل الأساليب في ان واحد، رغم صعوبة القيام بمثل هذه المغامرة، فأنا اعتبر ان الفنان الجيد هو مغامر جيد، ومكتشف للكنوز والأسرار والغموض في الحياة وليس من المهم ان تنجح أو تفشل، بل المهم المحاولة. الم يقل أندريه بريتون ان فكرة النجاح والفشل عند أخصص قلمي. برأيي ان مهمة الفنان ليست في تجميع موجودات المحيط، ثم إجراء الاختزال والأسلية والتحوير فحسب، بل ان مهمته اغناء الجانب الروحي للإنسان و تكثيف معنى الحياة و تنشيط نبضات القلب، الفنان صانع سحر صوت الروح المعبر عن أحاسيس البديهة الأولى باعث تلقائي للا شعور، مكتشف الجمال غير المألوف، الباحث عن صفاء بدائي مفقود لدي إنسان اليوم، الرسم خلق كالطبيعة، لان الفنان إنسان بضيف شكلا الي شكل ما، وإذا كان هذا الشكل مجرد شكل بدون روح فهو شكل ميت. والفن ليس مجرد شيء نجده في المتاحف والصالات، الفن هو البحث عن جوهر الحقيقة، وهو تفسير للطبيعة أيضا، الفن سؤال بلا جواب، ومهمة الفنان البحث عن الجواب.

٢- لماذا اتخذت الكائنات الأخرى صلة لك مع المحيط ولم تتخذ الجدران والكتابات والحروف والعلامات؟

- نحن جميعا كائنات حية، نحن مسكونون بحياة ووجود قائم علي مشاعر وأحاسيس شعورية ولا شعورية، إنني مرتبط بالخيال الرمزي لتلك الكائنات، واقعية كانت أم خرافية إنني ابحث عن الشكل النقي أي الإبقاء علي لغة الحوار البصري والباطني في العمل الفني لجوهر الاستجابة الفنية، لا أريد رقابة علي أعمالي، أريدها ان تندفع نحو أعماق الزمن الأسطوري الخلاق، الأساطير مصدر قوة دائمة في كل فكر وفن و الإحاطة بهذه المخلوقات تمنحني نشوة داخلية ينبع منها بعد رمزي، كمنط خاص من التفجرات الداخلية المستمرة للفنان، هكذا وجدت نفسي مولعا، ومهووسا، ومفتونا بسحر الكائنات وحضورها المدهش في أعمالي. هناك شعور خفي يدعوني إلي رسم هذه الكائنات، فأنا ولدت في بيئة شرقية، كان للعنصر الحيواني فيها حضور كبير، كجسد، وحركة، وحكايات، و أساطير، ورموز، وخرافات، وشعائر دينية، وبيئة عشت فيها ومازالت احملها في ذاكرتي، بيئة بدائية برية، وبريئة، وقد كانت ولازالت هناك الكثير من التشابهات والاستعارات للحيوان منذ أسطورة كلكامش وحتى يومنا هذا. وهي تظهر(= الكائنات) في أعمالي أحيانا كجسد وأخري كاستعارات، أنا مولع بتأمل الكائنات من الحيوانات والطيور والأسماك والحشرات، كائناتي غير مروضة، وغير عقلانية، وأحيانا لا أريدها أن تتعلمن، أريدها أن تكون أقرب إلي الطفولة ويراعها، أريدها أن تكون منغلقة ووحشية من التركيب المعرفي، هكذا أراها جميلة ومؤثرة، إن وجودها يشحن المخيلة فهي تهبنا حواس جديدة، مرة سؤل فنان ياباني لماذا ترسم الحيوانات أجاب لان الحيوانات لا تخون. ان كائناتي تخيلات روحية، دهشة مستمرة وعودة لروح الأرض، كائنات طقوسية احتفالية هينات حلمية سحرية طلسمية نورانية عاطفية، كائناتي حضارة كاملة، خلاص لروح الإنسان من الشر الكامن في نفوس الجنس البشري المتعطش لتدمير مملكة الحلم والسكينة للإنسان إنني أدعو الي البدائية في الرسم أدعو الي السكون الأول (= الرحم) حيث لانهائية الشهوة والإمتاع وجوهر الأشياء.

٣- إذا تغلف كائناتك بجدران سميكة هل هو خوف من الخارج وانكفاء الي الداخل؟

- هذا سؤال مهم وقد سألتني إياه أيضا ناقد أمريكي، اقتنتني مني لوحتين يومها، تقول عبارة للكاتب الأمريكي جيم هارسون: إن المخلوقات الحيوانية تعيش في الخارج ونحن البشر نعيش في الداخل. نعم أنا اعتقد انه نوع من الإنكفاء للداخل، هذا من ناحية ومن جهة أخرى، أري أنها انعكاس داخلي للحقائق المحسوسة، وأريد أيضا من خلال هذا التغليف الحاد لمفردتي، أن الفت نظر المتلقي إلي هيئة الكائن بشكل استثنائي والتركيز عليها، لان لكل كائن لغة خاصة به، وتصور خاص، وفلسفة خاصة تختلف عن بقية المفردات في اللوحة ذاتها، إنني بذلك أريد أن أحافظ علي استقلالية الكائن أو المفردة باعتبارها عنصر فعال ومؤثر قائم لوحده، وأريد أن أوضح رؤيتي للعالم بشكل واضح وظاهر للعيان، يقول الكاتب جون كيونزي يجب ان يكون الفن واضحا كاللهب. من خلال مشاهداتي وتأملاتي للكثير من رسوم الجدران والكهوف والنقوش القديمة علي الأحجار، وكذلك اللقي الأثرية، وجدت ان اغلب الرسوم عبارة عن تحديد خارجي حاد للشكل، بدون تفاصيل داخلية في هيئة الشكل العام، ونادرا ما تتداخل الأشكال مع بعضها البعض هكذا أجد نفسي مثل ذلك الصياد البدائي حين يرسم علي جدران الكهوف بعفوية عالية هيئة الكائن، بخطوط حادة قوية، رشيقة عميقة أخادة، ليعلمنا بعدها بفطرته البدائية الدرس الأول للرسم، أنني مدين لذلك الصياد البدائي الذي هو أنا.

٤- أشكالك بدأت تنحو نحو البساطة هل تتوقع ان تتجه كلية صوب لغة اشارية مجردة كاليفرغرافية أو لبيديات المسمارية جديدة؟

- هذا واحد من أصعب الأسئلة التي تواجه الرسام، وأنا عادة أسأل نفسي هذا السؤال بعد الانتهاء من وضع اللمسات الأخيرة علي اللوحة، فحين أبدأ بالرسم أرسم بانفعال واندفاع ورغبة ولذة، حين أنتهي من اللوحة ينتابني شعور غير عادي من البهجة والسعادة وفرح طفولي غامر للأسف لا يستمر طويلا، وبعد حين أجد نفسي في حزن وهمّ وقلق وحيرة، وأسأل نفسي كيف ستكون لوحتي القادمة، تلك اللحظات هي الأكثر صعوبة للفنان، فكل ما عرفه أنني أرسم ولا أعرف أين تقودني كائناتي، وأين تأخذني، وهل أهرجا يوما، ومتي سأتوقف، إذن تنتظر مخلوقات مصيرا مجهولا، لكنني سأستمر بالرسم مادام هناك بشر ومخلوقات وطيور واسماك وأساطير وحكايات وأحلام، هكذا أرسم برغبة مجروحة بالرغم من وجود الحياة، والرسم يحتاج إلي قرابين وأضاح وربما يتحول الفنان نفسه يوما إلي قربان كما حدث لفنان كوخ ومارك روثكو ودوستايل. بعد كل هذا لا أعرف ان كنت سأتجه صوب لغة أخرى، اعتقد بأنني ربما سأتوجه يوما، حين استنفذ كل ما عندي من أوكسجين كائناتي، الي حالة أخرى، الي ما قبل الكاليفرغرافية، لان الكاليفرغرافية فقدت بريقها الأول، بسبب سوء فهم أسرارها الحقيقية والاشتغال عليها بشكل سطحي وتشويهي غير مفهوم كقيمة روحية وإبداعية من قبل الكثير من الفنانين. أنا الآن أحاول، وأبحث، وأدرس، وأتمعن في (البيكروغرافيا)، وهي كتابة تصويرية قديمة تمزج بين الرسم والكتابة، وتشبه الي حد ما التخطيطات الهيروغليفية، والكتابة التصويرية الصينية اليابانية، وهي بمثابة المدخل الحقيقي لفن الرسم والخط في ان واحد، وأنا اعتبرها انسكولوجيا التصوير، فيها كل مفردات الكون التعبيرية: أشكال بدائية، حيوانية، ونباتية، تتناسل في عالم حلمي بلا بداية ولا نهاية، هذا ما أسعى إليه وأشعر بأنني أسير باتجاهه يوما ما، باحثا عن سعادة بسيطة وحقيقية. انه بحث وجودي عن روح البراعة بكل تفاصيلها. هذا ما تحمله مخيلتي الآن.

١١ ماهي أوضاع الفنانين العراقيين في أمريكا، وما هي تأثيرات الغربية علي منجزك الفني؟

- أود أن أشير في البداية أن في أمريكا عدد محدود جدا من الفنانين العراقيين لان اغلب الفنانين العراقيين ومنذ الستينيات توجهوا لدراسة الرسم إلي إيطاليا وفرنسا بالتحديد ومن أوائل الذين غادروا العراق إلي أمريكا لدراسة الرسم وعن طريق بعثة رسمية وذلك في أواخر السبعينات كل من الفنانين وليد شبيت وصاحب احمد وهما عادا إلي العراق وكذلك الفنان هاشم الطويل ومحمد تعبان وسعدي عباس البابلي و هؤلاء الثلاثة يعيشون حاليا في أمريكا، وقد هاجرت التسعينيات مجموعة أخرى من الفنانين إلي أمريكا واغلبهم بالتحديد من طلبة أكاديمية الفنون الجميلة. وهؤلاء ايضا تستطيع ان تعدهم علي أصابع اليد الواحدة وللأسف الي الآن لم يقدم الفنان العراقي في أمريكا شيئا كبيرا و متميزا، فلا وجود لفن عراقي يذكر بمعناه الاشملي، فمن المستحيل ان يجتمع ثلاثة فنانين في مكان واحد، ولهذا أسباب كثيرة، منها ان في أمريكا عدة ملايين من الفنانين، وملايين من الفنانين الأجانب، واغلب القاعات محجوزة علي الأقل لمدة سنتين، وبعضها الآخر لمدة خمس سنوات، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، تلقي صعوبة العيش بثقلها، إذ ان علي الفنان وقيل كل شيء ان يجد له عملا، وهذا العمل يستنزف كل طاقته وهو يحتاج ان يتقن اللغة جيدا. الحياة في أمريكا مغرية وسريعة ومكلفة وتنسك كل شيء، وإيقاع الحياة يجري بسرعة مذهلة، فالأيام والسنوات تمر كالبرق لهذا يشعر الكثيرون بالضيق والخسارة، لذا فالفنان الذي لا يستطيع الصمود بوجه كل هذه المعاناة سينتهي حتما وللأسف، لكن الفنان الذي يحمل في داخله بذرة الفن، وعشقها و كان حقيقيا وصادقا مع ذاته فهو سينجح بالتأكيد، لان أمريكا بلد الفرص الذهبية ومدينة نيويورك الآن قبلة الفنانين، إذ يجد الفنان كل ما يحلم به في هذه المدينة وهناك مثل أمريكي يقول يستطيع الإنسان ان يعيش في حي من أحياء نيويورك مدي الحياة من دون ان يحتاج الي أي شيء أو يغادر الي أي مكان. في رسالة مؤثرة لي كتب الشاعر والناقد فاروق يوسف قائلا ان الفنان الجيد عليه ان يرمي نفسه في التهلكة هذا إذا أراد ان يكون فنانا جيدا

هذا الكلام واقعي جدا ومهم جدا لان كلمة فنان كلمة كبيرة، والفن يحتاج الي تضحيات كبيرة. نعم الغربية قاسية، ولكن الفنان الحقيقي كان وما يزال كاننا غريبا علي مر العصور، والغربة مؤثرة وتأثيراتها كثيرة شخصيا لم اشعر الي الآن بالغربة، لأنني أصبحت حرا، و الحرية أجمل شيء في الحياة إنها تنسكك الغربية، وهكذا أتيت العالم الجديد كي أتخلص من العبودية وأكون فنانا مبدعا حرا فهنا وجدت نفسي أفكر جيدا وأرسم جيدا وأقرأ كل ما أريد وأزور القاعات الفنية والمتاحف المهمة واري أعمال الفنانين العظام عن قرب وأقيم المعارض واشترك في المعارض.

١٢ ماهي قراءتك للفن العراقي ماضيا وحاضر؟

- العراق بلد الفن والفنانين. الفن العراقي فن متطور ومتميز وراق، لان له جذورا عميقة عمق حضارة ميزوبوتاميا، أذكر حين دخلت متحف ميترو بوليتان في نيويورك سألت نيويورك سالت الدليل عن أفضل واهم جناح فأشار إلي جناح وقاعة حضارة وادي الرافدين، أنا اعتقد أن الفن العراقي يأتي في طليعة الفن العربي من حيث الروية والفلسفة والجرأة والتقنية، وان للفن العراقي سحرا خاصا، لكن معضلة الفن العراقي ان هناك فترات طويلة مظلمة في تاريخه و حروب وسيطرة واحتلال وتدمير وخراب منظم منذ فجر التاريخ و حتي يومنا هذا، لقد كانت ارض الرافدين حقا مهبط الإلهام الأول، هذا ما تعلمته من أستاذي في تاريخ الفن الدكتور زهير صاحب، إن قدر الفنان العراقي، لكي يتواصل مع مسيرة الحياة والفن، أن ينحت عذاباته في الصخر ويبنى فوق خراب تنهار أسطورهه بالم وشجاعة كي ينتج نماذج فنية بارعة يليق بانتمانه الي حضارته العظيمة. أما أوجه المقارنة بين الرسم العراقي ماضيا وحاضرا فهو ان فترة الخمسينيات والستينيات والسبعينيات كانت من أخصب الفترات وقد انتج فيها عمالا فنية راقية. في الماضي كان الفنان العراقي مخلصا لعمله، بعشق فنه، غزير الإنتاج، يفكر بشكل جيد في اللوحة الحديثة وماهية الرسم، ويؤسس الجماعات، ويصدر البيئات، فظهرت أولى التجارب والأساليب الواقعية والإطنابية والسريالية والتعبيرية والتجريدية وذلك بسبب الافتتاح السياسي والثقافي والتماسك الروحي بين الفنانين والمثقفين، مما أدي الي ظهور جيل مهم في الرسم العراقي، وفنانون كبار أمثال المبدع العالمي ضياء الغزوي ومثله رافع الناصري وكذلك الأب الحقيقي للفن الحديث في الشرق الأوسط الأستاذ شاكر حسن آل سعيد وهو قد انتهج فلسفة البعد الواحد في الرسم ولم يسبقه احد وهو الوحيد المتفرد الذي له مريديه الكثيرين في العراق والعالم العربي - الفن والفنان العراقي اليوم وللأسف مشوش مرتبك خائف فقد الجرأة وروح المغامرة مصاب بهلوسة فكرية لم يعد يرسم بجزارة، كثيرون تركوا الرسم وآخرون اختاروا العزلة، فلم نعد نسمع عنهم شيئا اغلب الفنانين صاروا عديمين، الفنان العراقي صار ازدواجيا ما بين القول والفعل فهو يدعو في طروحاته وأحاديثه الي فكر وفلسفة ما بعد الحداثة وهو متشبث بالفلكلور، يضع قدما في التجريد وأخرى في واقعية سطحية ورخيصة همه البحث عن الأصالة والهوية ناسيا اللغة الإنسانية للرسم وهذه مشكلة وتناقض كبير هناك خلل فظيع في رؤيته المغلقة، فلة منهم يرسمون لأنفسهم، واغلبهم صاروا فنانين

شعبيين وهم مفيدون بثوابت ومرجعيات جمالية أفرزها الماضي، اعتقد ان الفنان العراقي لا يعيش زمنه اليوم، القيامة تنتظر الفنانين العراقيين والفنانون العراقيون ينتظرون القيامة.

١١ ما رأيك بالنقد التشكيلي العراقي، وما أهميته في متابعة المنجز التشكيلي العراقي؟

- من خلال متابعتي للحركة النقدية التشكيلية العراقية منذ ربع قرن وجدت انه ليس هناك نقاد متخصصون في النقد التشكيلي، ولا حتى في المنطقة العربية ككل، وان جميع النقاد العراقيين بلا استثناء هم أما رسامون أو شعراء أو كتاب، هذا لا يعني أنهم لا يتقنون صنعة النقد بل أنهم يمارسون النقد كصناعة ثانوية وليس جوهر صنعتهم الإبداعية الأصلية، فهم يمارسونه كنوع من التسلية ليس إلا، كما اعترف لي مرة نقاد عربي مهم وهذا من حقهم لأنهم غير متخصصين، ولا يريدون ترك مهنتهم الأصلية شعراء كانوا أم رسامين.

لقد وجدت ايضا ان الكتابات النقدية تلك التي تكتب من قبل الناقد الشاعر تختلف تماما عن كتابات الناقد الرسام، لان هناك فرقا بين رؤية كليهما في فهم تشریح اللوحة، رغم انه في النهاية يلتقيان في عملية الخلق الفني، لذلك ولأسباب كثيرة أخرى اجد ان النقد في وضع غير طبيعي ولم يساهم مساهمة كبيرة في نشر مفهوم اللوحة الحديثة للجمهور، وبشكل منسجم مع واقع التشكيل العراقي ولم يكن حلقة وصل كبيرة بين الفنان والجمهور، أنهم لا يتابعون مراحل الفنان كما يحدث هنا في أمريكا مثلا، إضافة الي عدم وجود مجلات متخصصة في الرسم والنقد وندرة المؤلفات النقدية، ان للنقد أهمية كبيرة في نشر الوعي الجمالي في المجتمع وللناقد دور مكمل للفنان، فالفنان يرسم ويمضي وعلي الناقد ان يبحث عنه ويجده أينما كان وأينما حل وعليه ان يواكب مسيرة الفنان منذ أول معرض له أو منذ اكتشافه ولحين ان يموت وحتى بعد الموت.

١٢ ما تأثير المحيط أو الطبيعة في شمال العراق والتراث الشعبي الكردي علي منجزك؟

- ان كردستان العراقية تمثل كل قيم الحب والبراءة والجمال وامتزاج الخيالي بالحقيقي، وأجواها فردوسية أسطورية، إنها عالم الجمال البريء، بفطرته الأولى، هناك وشيجة روحية باطنية حميمة تربطني ببيئة كردستان، حيث ولادتي ونشأتي قبل أي شيء آخر. تستطيع أن تلمس الحضور الخفي والمعلن للأثر الكردي في أعمالتي، سواء تلك التي نفذتها في منتصف الثمانينيات بالأسود والأبيض وأنا في العراق، أو أعمالتي الملونة الأخرى التي نفذتها في أمريكا، لقد تأثرت كثيرا بالذاكرة الميثولوجية والحكايات الشعبية والفلكلورية الكردية، واستلهمت في أعمالتي الكثير من جمالها البدائي الوحشي وجبالها واشجارها وطيورها وحيواناتها وأسمائها وحشراتنا، وتأثرت بألوان ونقوش السجاد الكردي تلك التي تنسجها أيادي النساء في القرى النائية، فهي تذكرنا بإبداع الإنسان الأول ببراءة وجمال قل نظيره.

١٣ ماهي أبرز المحطات والفنانين الذين تركوا تأثيرا في منجزك الفني؟

- أود أن أؤكد أن التأثير والتأثير من الخصائص المهمة في عملية الخلق الفني وهي من مراحل الفنان المهمة لحين خلق شخصيته وأسلوبه الخاص وان التأثير لايعني إطلاقا التقليد الأعمى لان التقليد يعني استنساخ اللوحة بكامل تفاصيلها بينما التأثير يعني الانتماء الي فضاءات وعوالم واتجاهات فنان أو أسلوب ما -وان كل فنان ومنذ عصر النهضة وحتى يومنا هذا متأثر بخمسة فنانين علي الأقل سواء في الشكل أو المضمون أو في اللون أو خطوط أو تكتيك أو إخراج أو رؤية والخ وقد وجدت ذلك من خلال كتاب مهم صدر في العام الماضي عن دار فايدون يضم الكتاب أهم فناني العالم وذلك بالدلائل والصور، لقد اعترف بيكاسو بتأثره بماتيس واعترف بيكون بتأثره بعشرينيات بيكاسو وهؤلاء الثلاثة كما هو معروف عمالقة في الفن، وأنا أجد نفسي متأثرا حد العشق بذلك الفنان الرافديني الذي نحت أول ثور مجنح وأولئك الفنانين المجهولين الذين تركوا رسوماتهم البدائية علي جدران الكهوف - اعشق الجداريات الفرعونية والمنحوتات الأفرريقية المذهلة، اعشق رسوم الأطفال ورسوم المجانين والفنانين الفطريين.

AZZAMAN NEWSPAPER --- Issue 1767 --- Date 27/3/2004

جريدة (الزمان) --- العدد 1767 --- التاريخ 27 - 3 - 2004

AYTS

إغلاق ورجوع للصفحة الرئيسية

ارسل الخبر الي قارئ آخر

ارسل برأيك لكاتب المقال